بستان الكافوري

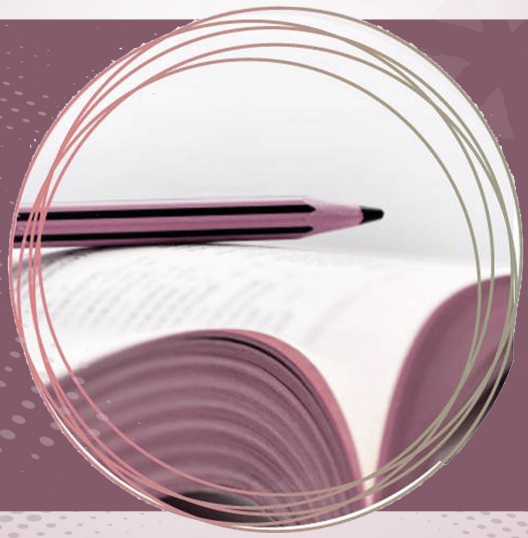

أحمد إبراهيم اللقاني

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بُسْتان الكافُوْريّ

إعداد: أحمد إبراهيم اللَّقَانيّ
باحث ماجستير في التاريخ الإسلامية/ كلية الآداب- جامعة دمنهور

Bustan Alkafury

Edit by; Ahmed Ibrahim Allaqany
Master researcher in Islamic history, Faculty of Arts- Damenhour university
allaqany@gmail.com

المستخلص:

شهدت عمارة المدن في الحضارة الإسلامية جانبًا كبيرا من عناية المسلمين، كما حظيت القصور وما بها من حدائق وبساتين بجانب ليس بالقليل من هذه العناية والرعاية؛ حتى أضحت هذه البساتين شغل بعضهم الشاغل، فحرصوا على تزويدها بكل ما تصل إليه أيديهم من نباتات وزهور وحيوانات وطيور، كما أوقفوا عليها الأوقاف وعينوا لها العمال، وأحاطوها بأسوار حمايةً لها من عبث العامة، وكان أحد هذه البساتين بستان محمد بن طغج الإخشيد، والذي اشتهر ببستان الكافوري، نسبة إلى كافور الإخشيد، خادم محمد بن طغج.

يدور هذا البحث حول نشأة البستان، في عهد محمد بن طغج الإخشيد، وكيف كانت عنايته به، ثم كيف كان حاله في عهد كافور، كذلك ما مر عليه من عصور، كان في بعضها محطَّ عناية الأمراء والخلفاء، كما في عهد الخلفاء الفاطميين، ثم إهماله كما في نهايات الدولة الأيوبية، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في عهد المماليك، فحلّت محله العديد من المنشآت المدنية والدينية، حتى صار هذا البستان أثرا بعد عين.

الكلمات المفتاحية:

البساتين في الحضارة الإسلامية، عمارة البساتين، بستان الكافوري، بستان الإخشيد، قصور الفاطميين، متنزهات الخلفاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾. [الأنعام: ١٤١].

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات في وصف الجنة وما أعد الله فيها لأهلها، ويبدو أن المسلمين تعجلوا رؤية هذه الجنة والتمتع بنعيمها؛ لذا فقد أولوا القصور عنايتهم، بإنشاء الحدائق وزراعتها بشتى الزروع، بل تعدى هذا الاهتمام إلى إنشاء بساتين مستقلة.

وقد حظيت هذه البساتين باهتمام الطبقة الحاكمة؛ فكان الخلفاء والأمراء يتفنَّنون في تخطيطها وزراعتها بشتى أنواع النباتات والزهور، ومَدُّوا لها القنوات وأقاموا بها الفوارات وحفروا البرك. ولعل خير مثال على ذلك ما ساقه المَقْرِيْزيّ (ت: ٨٤٥هـ) في أخبار الدولة الطولونية من تحويل خُمَارَوَيْه (٢٧٠- ٢٨٢هـ) ميدان أبيه أحمد بن طولون (٢٥٤- ٢٧٠هـ) إلى بستان، وزَرَع فيه أنواع الرياحين والورود، وحُمِل إليه كل صنف من الشجر، وتعددت فيه أنواع النخيل، بل كسيت أجسام النخيل بالنحاس المذهب، وجعل بينه وبين جسم النخلة الأنابيب لرَيّها. كما بَلّط أرض البستان وأجرى فيه الأنهار الصغيرة والجداول لري الأشجار. كما أنشأ برجًا خشبيا ملونا ليكون مكانا لطيور الزينة كالقُمْرِيّ وغيرها، وسيّر في أرض البستان الطيور الجميلة كالطوويس ودجاج الحبش وغيرها[(١)].

كذلك أورد اهتمام الفاطميين بالبساتين، وذكر لهم عدة بساتين، ونقل صورة مماثلة لبستان خُمَارَوَيْه؛ حيث كان الأفضل بن أمير الجيوش مولعًا بالبساتين، فقد عمل لأحدها سورا مثل سور القاهرة، وحفر فيه بحرا، وجعل له أربع سواقي لملئه بالماء، وأقام فيه مَنْظَرة محمولة على أربعة أعمدة رخام، وجعل له قنطرة من نحاس مخروط. كما أقام قبة عُشاري تحمل ثمانية أرادب، وهي لإطعام

(١) تَقِيّ الدين المَقْرِيْزيّ (ت: ٨٤٥هـ)، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تحقيق أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ٢/ ٨٨، ٨٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطيور، وكان قد أنشأ العديد من الأبراج لهذه الطيور المسموعة والحمام، واستخدم لهذا الحمام مُطَيِّرين، وسرّح في أرض البستان الطووايس[١].

ولعل في هاتين الصورتين غناءً للتعبير عن اهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين بالبساتين، كذلك هي تعبير عما كان عليه بستان الإخشيد (البستان الكافوري). وفي هذا البحث سيتم الحديث عن البستان خلال العصور التاريخية المختلفة موضحا كيف كان حاله، وما أحدث فيه.

***

(١) السابق، ٢/ ٥٨٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منشئ البستان

أنشأ هذا البستان الأمير محمد بن طُغْج بن جَفّ الإخْشِيْد، والي مصر، سنة ٣٢٥ هـ- ٩٣٦ م.

وكان هذا البستان مطلًا على خليج أمير المؤمنين؛ فاعتنى به الإخشيد وجعل له أبوابا من حديد، وكان ينزل به ويقيم فيه الأيام[١].

وممّا وقع أمام هذا البستان، في عهد الإخشيد محمد بن طُغْج (٣٢٣- ٣٣٤هـ)، أن أحد العامة اعترض موكب ابن طُغْج ليتظلّم إليه، وكان ساعتها خارجا إلى الشام؛ فتطيَّر به ابن طُغْج وأمر بعقابه، فمات الرجل من ساعته، فاسترضى ابن طُغْج أهله، ثم سافر إلى الشام إلا أنه لم يعد إلى مصر، ومات هناك[٢].

ولعل هذا الحادث حينما نما إلى علم الخلفاء الفاطميين جعلهم يفكرون في إنشاء سراديب لتوصل قصورهم بالبستان حتى لا يتعرضوا للعامة ويتكرر الحادث الماضي.

ثم اعتنى به من بعد الإخشيد ولداهُ: أبو القاسم أُونُوْجُوْر (٣٣٤- ٣٤٩هـ)، وأبو الحسن عليّ (٣٤٩- ٣٥٥هـ)، إلى أن غلب على مصر خادم الإخشيد أبو المسك كافور الإخشيدي (٣٥٥- ٣٥٧هـ)؛ فاتخذه نُزُلًا ومتنزها، وقد كان كثيرا ما يتنزه به؛ فكان يواصل الركوب إلى الميدان والبستان في أيام الجمعة والأحد والثلاثاء[٣].

ولكثرة تَنَزُّه كافور به ونزوله فيه فقد اشتُهِر وعُرِف بالبستان الكافوري، حتى نسب ابن دُقْمَاق إنشاءه له، فقال: «وكافور هو الذي بدأ إنشاءه»[٤]. ولعل ذلك كان دافعا للجنود والغلمان لتخريب

---

(١) السابق، ٢/ ٤٩٦، و٣/ ٧٢، ٧٣؛ وعبد الرحمن زكي (ت: ١٩٨٠م)، **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ٣١.

(٢) ابن سعيد الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ)، **المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب**؛ تحقيق زكي محمد حسن (القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م)، ١/ ١٨٢؛ والمقريزي، ٣/ ٧٣، كلاهما نقلا عن ابن زولاق.

(٣) المقريزي، ٢/ ٤٩٦، و٣/ ٧٢، ٧٣.

(٤) إبراهيم ابن دُقْماق (ت: ٨٠٩هـ)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**؛ تحقيق سمير طبّارة (بيروت: المكتبة العصرية، =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البستان ونهب دوابّه، وذلك عقب موت كافور[١].

***

مكان البستان

أُنشئ البستان في سهل رملي يحدّه خليج أمير المؤمنين من الغرب وجبل المقطم من الشرق، وقد كان خاليا حتى استغله محمد بن طُغْج الإخشيد لينشأ فيه بستانه[٢]. وهو يقع في المسافة التي كانت بين القصر الصغير والسور الغربي للمدينة، ومن خلفه مناظر الخلفاء المطلة على الخليج[٣].

وقد كان هذا البستان «واقعا قبل إنشاء القاهرة في المنطقة التي تُحَدّ اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوانى، ومن الغرب بشارع الخليج المصرى، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة، ومن الشرق بشارع الخردجية وبين القصرين والنَّحّاسين»[٤].

وبلغت مساحة البستان في العهد الفاطمي حوالي (٣٥) فدانا[٥]، وهو ما يعادل: (١٢٠٠٥٠) مترا مربعا[٦].

= ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ١٧٤.

(١) المقريزي، ٣/ ٧٣.

(٢) أيمن فؤاد سيد، **القاهرة، خططها وتطورها العمراني** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م)، ٦٥.

(٣) السابق، ٨٦.

(٤) أبو المحاسن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة (٤/ ٤٨)، هامش (٢)، تعليق الأستاذ محمد رمزي. وينظر: عبد الرحمن زكي (ص: ٣١، ٣٢).

(٥) سعاد ماهر، القاهرة القديمة وأحياؤها (ص: ٢٠).

(٦) أيمن فؤاد سيد (ص: ٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مكان البستان

مخطط لموقع البستان[1]

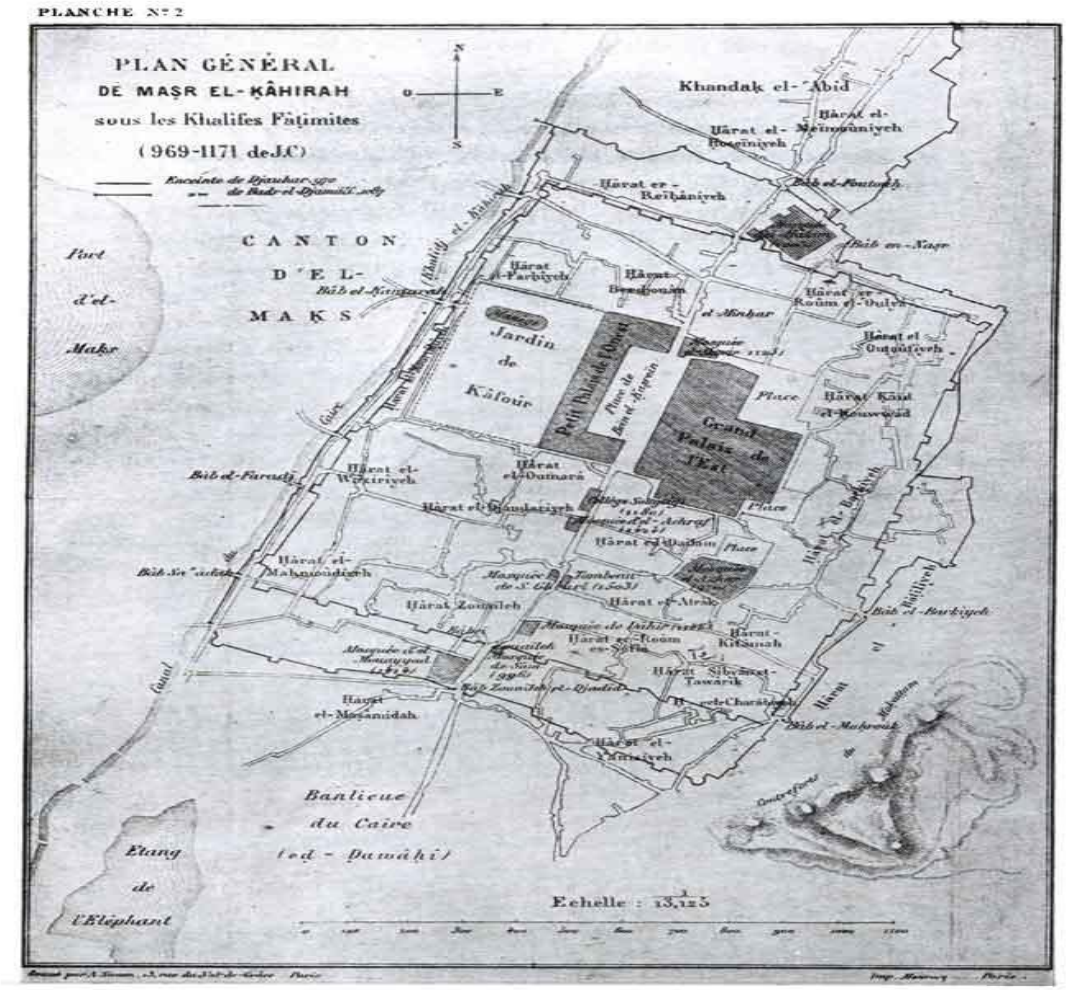

القاهرة الفاطمية والميادين حول القصرين الفاطميين عن رافيس

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

(١) حسن عبد الوهاب، **تخطيط القاهرة** (ص: ٤٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مخطط (٢)[١]

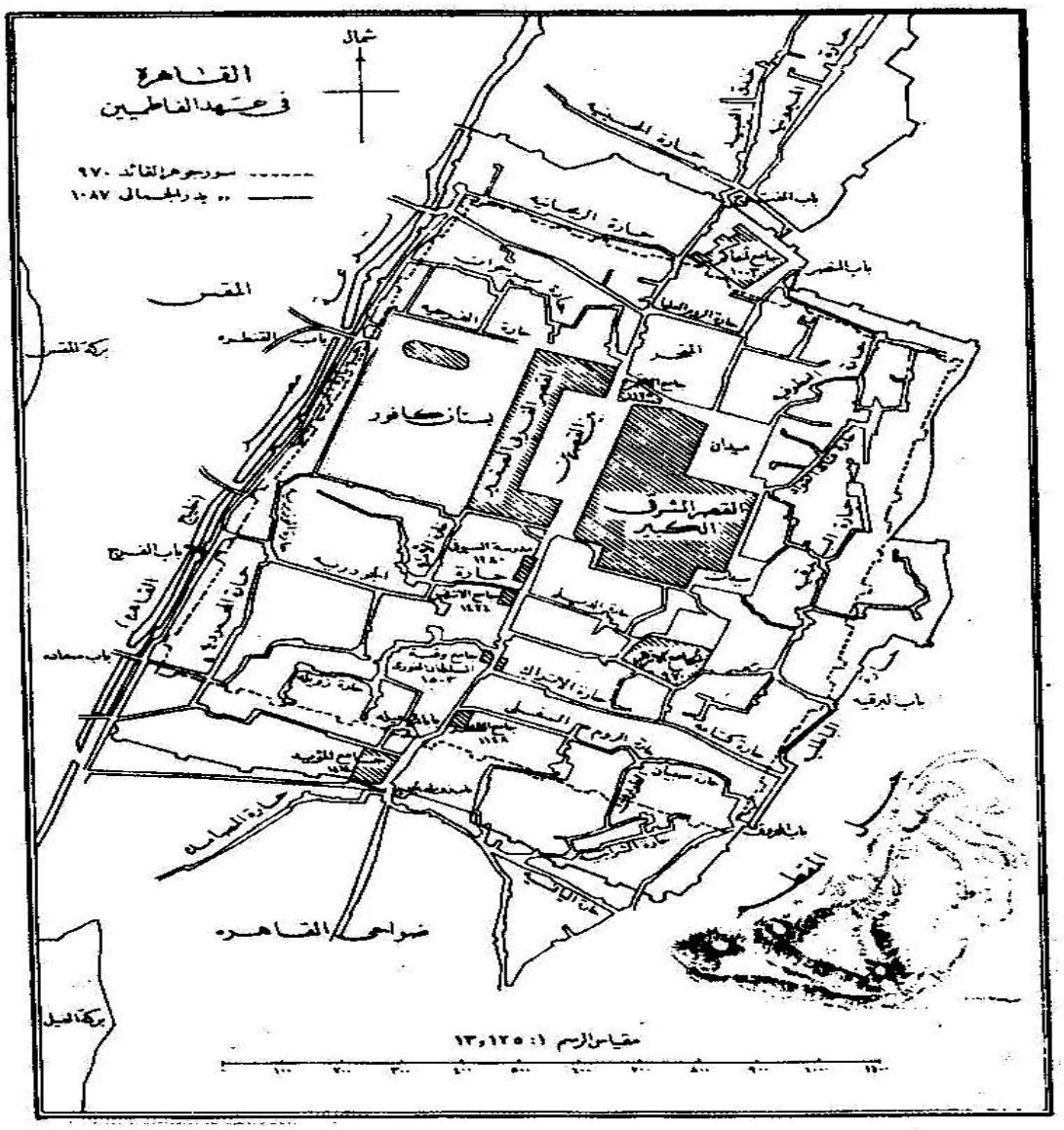

حاراتُ القاهِرة في العَصْر الفاطِمي

(١) أيمن فؤاد سيد في **خطط المقريزي** (٣/ ٦٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البستان أيام الفاطميين

لما قدم جوهر الصَّقْلَبِيّ بجيوش المعز لدين الله لأخذ مصر من الإخشيديين، أناخ بجوار البستان، ثم عندما شرع في بناء القاهرة جعله من جملة القاهرة[١]، ولم يكن ثمة بناء في هذا المكان سوى البستان والميدان الذي أقامه محمد بن طُغْج، وديرللنصارى يسمى بدير العِظام وبعض الأَخْصاص[٢] للخفراء[٣].

واتخذ الفاطميون عددا من السراديب والممرات المبنية تحت الأرض، فكان الخلفاء يتزلون إليها من القصر ويسيرون فيها بالدواب يصحبهم عدد من الجواري يتوجهون منها إلى القصر الصغير والبستان الكافوري والمناظر المطلة على الخليج بحيث لا تراهم الأعين في تنقلاتهم الخاصة[٤].

وكان يوجد بين البستان الكافوري ومناظر الخلفاء وبين خليج أمير المؤمنين شارعٌ تجلس فيه العامة لمشاهدة الخليج وما وراءه من بساتين وبرك، وكان يعرف بـــ(بين السورين)، كما كان البستان يتصل ببركة الفيل، وقد كان من عادة السلاطين أن يتنزَّهوا بها ليلًا، فكانت تشبه الدائرة، وكان أصحاب المناظر يسرجون المصابيح، كل على قدره، فيكون بذلك منظرٌ بديع ليلًا[٥].

***

(١) المقريزي (٣/ ٤٩٦).

(٢) الخُصّ: البيت الذي يُسَقَّفُ عليه بخشبة على هيئة الأَزَجِ، والجمع أَخْصَاصٌ وخِصَاص. وقيل في جمعه: خُصُوص، سمي بذلك لأَنه يُرَى ما فيه من خَصاصةٍ، أَي: فُرْجةٍ. وقيل: سُمِيَ خُصًّا لما فيه من الخَصَاصِ، وهي التَّفارِيجُ الضَّيِّقة. والأَزَجُ: بيت يُبنى طُولا. وهو يشبه في الوقت الحاضر الأكواخ أو العشش التي يبنيها الفلاحون وسط أراضيهم للاستراحة فيها، والاستظلال من حر الشمس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب (١/ ٧٠)، (٢/ ١١٧٤).

(٣) العماد الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (ص: ٢٦١)، والمقريزي (٢/ ٢٠٨).

(٤) أيمن فؤاد سيد (ص: ٩٤)، نقلًا عن المقريزي (٣/ ٤٩٦، ٤٩٧)، وينظر: ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة (ص: ١١٠، ١١١).

(٥) المقريزي (٢/ ٢٢٩)، و(٣/ ٣٦٤)، وينظر: أيمن فؤاد سيد (ص: ٢٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البستان في العهد الأيوبي

كان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤- ٥٨٩هـ)، بعد أن أسقط الخلافة الفاطمية، قد استولى على جملة القصور التي كانت لهؤلاء الخلفاء، ومنها البستان الكافوري، ثم احتاطوا على أولاد الخليفة العاضد بحارة بَرْجَوان، ثم أسكن صلاح الدين أهله في هذه القصور، وأسكن والده أيوب بقصر اللؤلؤة، والتي من حقوقه البستان الكافوري، وظل أولاد الخليفة العاضد بحارة بَرْجَوان حتى جاء الملك الكامل بن العادل (٦١٥- ٦٣٥هـ) واعتقلهم بالقلعة[١].

ظل البستان متنزها للأيوبيين حتى نهايات دولتهم، ويبدو أنه أُهمِل وتُرِك للعامة حتى أحدثوا فيه زراعة الحشيش، ولم يكن ينكر عليهم أحدٌ، حتى جاء عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧- ٦٤٧هـ)، فمنع من ذلك[٢].

***

البستان في عهد المماليك

لم يزل البستان قائما حتى سنة ٦٥١ هـ، ثم في دولة عز الدين أَيْبَك (٦٤٨- ٦٥٥هـ)، قامت المماليك البحرية بإزالة أشجاره وتخريبه وكذلك خُرِّب الميدان والقصور، وبُنِيَ مكانها إسطبلاتٌ ودور ومساكن[٣].

ولما تولى الظاهر بَيْبَرْس السلطنة (٦٥٨- ٦٧٦هـ) قام بإشهاد من بقي من أولاد العاضد على جملة مواضع من القاهرة، منها قصر اللؤلؤة والبستان الكافوري وغيرها من المواضع بأنها ملك لبيت

(١) المقريزي (٢/ ٦٠٨- ٦١٠).
(٢) ابن عبد الظاهر (ص: ٦٢، ٦٣)، وعنه المقريزي (٣/ ٧٣).
(٣) ابن عبد الظاهر (ص: ٦٢، ٦٣)، وعنه المقريزي (٣/ ٧٣)، وينظر: ابن تغري بردي (٤/ ٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المال بالنظر السلطاني الظاهري، بوجه شرعي صحيح ولا يجوز لهم الرجوع فيه، وقد كان الأيوبيون استولوا على هذه القصور واعتقلوا أولاد العاضد بالقلعة، وظلوا بها حتى جاء الظاهر بَيْبَرْس، وكان ما سلف[١].

ومما بُنِي على أرض هذا البستان، وظل باقيا حتى منتصف القرن التاسع الهجري، المسجدُ الكافوريّ، والذي يعرف بمسجد الخلفاء، وقد بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتِك البَطَائحيّ في سنة ٥١٦ هـ[٢].

ومن جملة أراضي البستان دار الوزير ناصر الدين محمد بن رجب، وقد كانت إسطبلًا للأمير علاء الدين عليّ بن كَلَفْت التُّرْكُمَانيّ، شادّ الدواوين، فابتنى بها قصرا ومقعدا، ثم استولى على هذا القصر فيما بعد جمال الدين الأُسْتادار وضمه إلى مدرسته[٣].

ومما حَلّ أيضا بأرض البستانِ الجامعُ الباسطيّ، الذي أنشأه القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقيّ، ناظر الجيوش سنة ٨٢٢ هـ[٤].

***

(١) المقريزي (٢/ ٦٠٨- ٦١٠).
(٢) السابق (٤/ ٧١١).
(٣) السابق (٣/ ٢٤٦، ٢٤٧).
(٤) السابق (٤/ ٣٥١، ٣٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

أهتم المسلمون في معظم الأقاليم الإسلامية بالبساتين وأولوها عناية فائقة على مر العصور؛ حتى غدت هذه البساتين علامة حضارية على ازدهار الدول وثرائها، وكان من هذه البساتين بستان الكافوري.

لقد مرت علي بستان الكافوري عصورٌ عدة، تبدلت فيها الأحوال وتغيرت، من الاعتناء، كما حدث في عهد الإخشيديين – فقد كان لاختصاص كافور الإخشيدي بالبستان دور كبير في نسبة وشهرة البستان إليه، حتى غدا بستان كافور وليس بستان الإخشيد– ومن بعدهم الفاطميين، وفي بدايات العصر الأيوبي، ومن الإهمال وتركه للعامة يعيثون فيه بالفساد، كما حدث في نهايات العصر الأيوبي، حتى جاء المماليك وقضوا على آخر ما تبقى منه؛ فخربوه واستبدلوه بمنشآت عسكرية وقصور ودور؛ لينتهي بذلك هذا البستان ويصبح أثرا بعد عين.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثَبَتُ المصادر والمراجع

- ابن تَغْرِي بِرْدِي، أبو المحاسن يوسف (ت: ٧٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٨هـ- ١٩٢٩م.
- ابن دُقْماق، إبراهيم بن محمد (ت: ٨٠٩هـ). **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**؛ تحقيق سمير طبّارة. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- زكي، عبد الرحمن (ت: ١٩٨٠م). **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- ابن سعيد الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ). **المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب**؛ تحقيق زكي محمد حسن. القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م.
- سيد، أيمن فؤاد. **القاهرة، خططها وتطورها العمراني**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.
- ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبد الله (ت: ٦٩٢هـ). **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**؛ تحقيق أيمن فؤاد سيد. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ). **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- ماهر، سعاد (ت: ١٩٩٦م). **القاهرة القديمة وأحياؤها**. القاهرة: دار القلم، ١٩٦٢م.
- المَقْرِيْزِيّ، تَقِيّ الدين أحمد بن عليّ (ت: ٨٤٥هـ). **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (=خطط المقريزي)**؛ تحقيق أيمن فؤاد سيد. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- ابن مَنْظُور، محمد بن مُكَرَّم (ت: ٧١١هـ). **لسان العرب**؛ تحقيق عبد الله علي الكبير. القاهرة: دار المعارف، د ت.

***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السيرة الذاتية

أحمد إبراهيم اللَّقَانيّ

- باحث ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب بجامعة دمنهور.
- دبلوم علوم المخطوط العربي، معهد المخطوطات العربية، ٢٠١٧م.
- دبلوم التربية العام، جامعة جنوب الوادي، ٢٠١٤م.
- بكالوريوس السياحة والفنادق، جامعة حلوان، ٢٠٠٢م.

الأعمال:

- معجم مقيدات ابن تغري بردي (تأليف). نشرة رقمية. القاهرة؛ معهد المخطوطات العربية، ٢٠٢٣م.
- الأعمال الكاملة لأحمد تيمور باشا (تقديم وقراءة وتصحيح وتعليق/ بالاشتراك)، المكتبة العمرية- القاهرة، ٢٠٢٢م.
- دمياط: منفى السلاطين والأمراء (تأليف)، دار عباد الرحمن- القاهرة، ٢٠٢١م.
- منثور الدرر من كلام خير البشر، لشهاب الدين الأقفهسي (ضمن فريق التحقيق)، دار الذخائر- القاهرة، ٢٠٢٠م.
- التجربة المصرية في فهرسة المخطوطات العربية: يوسف زيدان أنموذجا، مجلة قطر الندي- مركز نجيبويه، ع ٢٣، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م (بحث).

شبكة الألوكة - قسم الكتب